الخطاب الدعوي لغير المسلمين

الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

نشر في كتاب

الدور الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد

(سلسلة مشروعات ثقافية)

مركز البحوث والدراسات

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، الطبعة الأولى

1421 هـ /2000م

أعيد نشره إلكترونيا في رمضان
1439 / مايو 2018

الخطاب الدعوي لغير المسلمين

الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي (*)

الخطاب الدعوي، له مضمون واحد، هو تبليغ ما حمله الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم إلى الناس.. وله ضوابط تعين الداعية على أداء رسالته الدعوية، وتبعث غير المسلمين على الاستماع والتلقي.. وحين يكون خطابًا دينيًا، يكون قويًا لا يمكن مواجهته بأية حجة..

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد;

فإن الدعوة إلى الله تعالى من أعظم الواجبات على الأمة الإسلامية، وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين -عليهم السلام- ورسالة سيد الأولين والآخرين، مُحَمَّد ابن عبد الله ﷺ.

فبالدعوة إلى الله تعالى ينتقل الإسلام من السلف إلى الخلف، ليتصل الماضي بالحاضر، ويمتد إلى المستقبل، ويبقى الإسلام ظاهرًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. وبالدعوة إلى الله تنداح شجرة دين الله تعالى، وينتشر ضياؤها في جميع أنحاء الدنيا، مبددًا ظلمات الجهل، وناشرًا الخير والفلاح بين العالمين.

والأدلة على وجوب الدعوة إلى الله تعالى، وفضلها، وعظم ثوابها كثيرة:

منها قوله جل وعلا: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ (يوسف:108)، وقوله جلّت قدرته: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ

(*) باحث وأكاديمي.. وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد سابقاً (السعودية).

وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾(النحل:125)، وقوله سبحانه وتعالى:﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ (التوبة:122)، وقوله تعالى:﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (آل عمران:104).

وقول الرسول ﷺ: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**»[1]، وقوله ﷺ يوم فتح خيبر لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أعطاه الراية: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرُ النَّعَمِ**»[2].

وقد ظهر الاهتمام بالدعوة إلى الله تعالى، باعتبارها من أهم الواجبات الدينية منذ فجر الإسلام، فقد قام الصحابة رضوان الله عليهم بهذا الواجب وجعلوه من أجلِّ غاياتهم، وأحلوه في الصدر من مقاصدهم، وعلى هذا النهج سار التابعون لهم بإحسان.

وارتبط انتشار الدعوة إلى الله في بعض الفترات بمدى قوة الدولة، وتعاظم إمكاناتها، وقدراتها على نشر الدعوة خارج حدود الدولة الإسلامية:

ففي عصر الدولة الأموية على سبيل المثال (41-132هـ)، انتشر الإسلام في بقاع كثيرة من الأرض بسبب الفتوحات العديدة للمسلمين.

واستمر انتشار الدعوة في عهد الدولة العباسية (132-656هـ).

وقد كان لانتشار اللغة العربية والعلوم الإسلامية، واتصال العلاقات بين الدولة الإسلامية، وغيرها من دول العالم وقتذاك، أثر واضح في ذلك.. كما كان للحروب

(1) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) متفق عليه، من حديث سهل رضي الله عنه .

والمعارك التي دارت بين العالم الإسلامي وبقايا إمبراطورية الروم أو القوى الصاعدة في أوروبا في نهاية العصور الوسطى، أثرها في انتشار الإسلام في البلاد التي كانت خاضعة للحكم الروماني وما تلاه، إذ كان لعلاقات السلم والحرب أثرها الكبير في التعريف بالإسلام في أوروبا وقتذاك، كما كان للعلاقات التجارية أثرها في انتشار الإسلام في أنحاء إفريقيا وآسيا.

ويهمنا في هذا المقام تأكيد حقيقة بقيت إلى وقت قريب مثارًا للجدل والمناقشة، وهي أن السبب في انتشار الإسلام في أرجاء الدنيا هو ما رآه الناس فيه من رحمة، وعدل، وخير، وكانت أهم وسائل التعريف به الدعوة إلى الله بالحكمة، وبالاتصال بين الشعوب، والانتقال بين البلاد الإسلامية وغيرها، وبقيام علاقات تجارية واجتماعية بين المسلمين وغيرهم من شعوب العالم، ولم تكن الفتوحات الإسلامية هي السبب الرئيس في تحول شعوب وأمم بأسرها إلى الإسلام.

وهذا ظاهر في العصر الحديث ظهورًا بينًا لا يحتاج إلى دليل، ففي الوقت الذي ضعفت فيه شوكة الدولة الإسلامية، ظهر دين الله في كثير من البلاد غير الإسلامية: في إفريقيا، وآسيا، وأوروبا، الأمر الذي يؤكد لنا أهمية الخطاب الدعوي، وأثره في انتشار الإسلام.

وفي النصف الثاني من القرن الميلادي العشرين، ظهرت الأهمية البالغة للخطاب الدعوي الموجه إلى غير المسلمين، وازداد أثر التعريف بدين الله بين شعوب الأرض بمختلف وسائل الاتصال والانتقال، ولذلك فإن علينا أن نهتم بمضمون هذا الخطاب، وأساليبه، وضوابط توجيهه إلى الشعوب والمجتمعات غير الإسلامية، حتى يؤتي هذا الخطاب ثمرته الطيبة في هداية الناس إلى الدين الحق، ولدينا من بشائر النجاح والتوفيق

بظهور الإسلام قول الله عز وجل:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ (الصف:9).

وسنتناول مضمون الخطاب الدعوي لغير المسلمين في عالمنا المعاصر، وضوابطه التي ترشد مسيرة الدعوة خارج الوطن الإسلامي الكبير.

مضمون الخطاب الدعوي

الخطاب الدعوي –منذ أن قام به الأنبياء والرسل جميعًا– هو خطاب ديني، أي يتعلق بعقيدة الإنسان، والشريعة التي تنتظم حياته الاجتماعية.. وهذا الخطاب حمله أنبياء الله إلى البشر.. وفي دعوات الرسل والأنبياء السابقين، بيان واضح لمضمون الخطاب الدعوي، يقول تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:25)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾(المؤمنون:23)، ويقول تعالى:﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾(النمل:45)، وقد أوصى الله تعالى الأولين والآخرين بتقوى الله تعالى، فقال:﴿ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ (النساء:131).

فالدعوة إلى عبادة الله وحده، وطاعته فيما أمر به ونهى عنه، هي جوهر الخطاب الدعوي للناس جميعًا، فالرسل تبلغ رسالات الله إلى البشر، والرسالة هي الدين، وقد أمر الله تعالى الناس أن يقيموا وجوههم لـ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ ﴾ (الروم:30) ويقول تعالى﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ (الشورى:13).

وفي الرسالة الخاتمة، رسالة محمد ﷺ نجد المضمون نفسه، وهو الدعوة إلى عبادة الله

وحده لا شريك له، وإخلاص الدين له، وطاعته فيما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه، يقول تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام:161)، ويقول تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ل عمران:85).. وقد أخبرنا الله تعالى باكتمال الدين، وتمام النعمة في الرسالة الخاتمة، فقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ (المائدة:3).

فالخطاب الدعوي كله –وأشرفه وأعلاه منزلة خطاب الرسل والأنبياء لأقوامهم، وخطاب النبي الخاتم لأمته– هو خطاب ديني في الأساس، وجوهره الدعوة إلى دين الله: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ ﴾ (الزمر:3)، وبهذا الخطاب علا شأن الأنبياء والرسل، حيث بلغوا الوحي إلى الناس، وبينوا لهم دينهم الحق، ودعوهم إلى طاعة الله فيما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه.

هذا خطاب الأنبياء والرسل جميعًا للناس، وبه سمت منزلة الأنبياء والرسل فوق مستوى الحكماء والمصلحين من الناس في كل زمان ومكان، فهم يبلغون رسالات الله، ويدعون إليه وحده، والدعوة إلى الله تشمل بيان العقيدة التي يؤمن بها الإنسان بقلبه، وينطق بها بلسانه، وتعمل بها جوارحه، وهي على الإجمال: الإيمان بالقدر خيره وشره، يقول الله تعالى:﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾البقرة:177)، ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر:49).

والشريعة في أصولها وأحكامها من الله عز وجل، بلغها أنبياؤه ورسله إلى الناس،

يقول الله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾(المائدة:48)، ويقول تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾ (الجاثية:18).

فالشريعة هي ما شرع الله لعباده من أحكام العقائد، والعبادات والمعاملات، وذلك في الكتب المنزلة، والتي ختمت بالقرآن الكريم الذي حوى العقيدة، والأخلاق، وأحكام العبادات والتشريع، وهي المقاصد الكبرى إلى جانب المقاصد الأخرى التي اشتمل عليها القرآن، مثل: الإنذار، والتبشير، والوعد والوعيد، وضرب الأمثال، وبيان الحجة، وذكر القصص وسير الأمم الماضية.

والخطاب الدعوي يتضمن الشريعة بمعناها الكامل، أي المشتمل على ما أنزل الله في العقيدة والأخلاق والتشريع، وهو ما بلغه النبي ﷺ إلى الناس، يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ (المائدة:67).. وقد أشهد خاتم النبيين محمد ﷺ أمته على تمام بلاغه لها في حجة الوداع، فقال ﷺ: «**اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ**» وردت أمته بأنه -بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، فقال الرسول ﷺ: «**اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ**»[1].

إن الخطاب الدعوي له مضمون واحد، هو تبليغ ما بلغه الرسل والأنبياء إلى الناس من وحي عن ربهم منذ أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وهذا المضمون هو الدين، وهو الرسالة الإلهية التي حملها الأنبياء والرسل بكل مضمونها من العقائد والشرائع والأخلاق.

لقد قام الحكماء والفلاسفة وأصحاب المذاهب الاجتماعية قديمًا وحديثًا بتوجيه خطابهم للناس من خلال لقائهم أو بواسطة تلاميذهم، أو ما تركوه من مؤلفات نقلت عنهم، ولكن الخطاب هنا ليس خطابًا دينيًا، وليس دعوة إلى الدين، وإنما هو خطاب

(1) متفق عليه، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

يتولى نشر مفاهيم معينة، اجتماعية، أو خلقية، أو سياسية، أو فلسفية، وقد تمس جوانب من العقيدة، أو تتصل بموضوعات تعد من الشريعة أو من الدين، ولكن الخطاب هنا ليس دينيًا في الأساس، وإنما هو خطاب اجتماعي أو فلسفي أو سياسي بحسب الهدف المقصود منه، وتظل لهذا الخطاب طبيعته المختلفة عن الخطاب الدعوي الذي جوهره الدين، وهو بكل مضمونه خطاب إلهي المصدر، فهو أعلى وأسمى من كل خطاب بشري، مهما كان موضوعه، أو هدفه، أو وسيلة إبلاغه للناس.

ويتمتع الخطاب الديني بتقدير خاص لدى المتلقي أو المدعو; لأن القاعدة أن هذا الخطاب هو تبليغ ما حمله الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه إلى الناس عن رب العزة.. وهذا الاقتناع لدى المتلقي يجعله مستعدًا للاستماع، والاتباع والاقتناع أكثر مما نجده في سائر أنواع الخطاب البشري الذي يوجه إلى الناس، سواء أكان خطابًا اجتماعيًا، أم سياسيًا، أم فلسفيًا; إذ إن الاقتناع المسبق بأن ذلك الخطاب جوهره فكر بشري يجعله قابلاً للمناقشة، ويحتمل الخطأ، ويقبل الرد، لأن المتلقي يكون قادرًا على تقويم الخطاب وصاحبه بلا أدنى حرج، وهذا ما حدث في تاريخ المذاهب والدعوات العامة –غير الدينية– قديمًا وحديثًا.

لقد كان الخطاب الدعوي الإسلامي في تاريخه الطويل خطابًا دينيًا كاملاً، وجوهره الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وإصلاح النفوس، وتزكيتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وكانت وسائله في إقناع المدعوين، هي الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدل بالتي هي أحسن، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ (النحل:125).

وحين يكون الخطاب الدعوي دينيًا لا يلتبس به خطاب مذهبي، أو سياسي،

أو اجتماعي، يكون قويًا لا يمكن مواجهته بأية حجة، يقول تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ (الأنعام:149)، ويقول سبحانه﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ (الأنعام:83)، أي إن بلاغ إبراهيم عليه السلام.. لقومه كان يستند إلى حجة الله البالغة التي أيد بها إبراهيم عليه السلام، ولكن حيث ينحرف الخطاب الدعوي الإسلامي; ليمثل خطابًا سياسيًا، أو اجتماعيًا، أو مذهبيًا، يبدأ ظهور الضعف فيه; لأن الخطاب الديني يبلغ عن الله ورسله، بينما أي خطاب آخر يعبر عن فكر بشري قابل للمناقشة والرد من المتلقي.

خطاب غير المسلمين

في العقود الأخيرة ظهر بوضوح أن الخطاب الدعوي الإسلامي لغير المسلمين التبس بكثير من الأهداف والغايات التي يراد تحقيقها عن طريقه، وخرج في بعض الأحيان عن أن يكون خطابًا دينيًا، والتبس بغايات أخرى اجتماعية أو سياسية، حتى وإن استندت بتأويل ظاهر أو خفي، إلى نصوص الدين وأحكام الشريعة.

وقد واجهت الدعوة إلى الله خارج البلاد الإسلامية عقبات شتى بسبب ذلك; إذ يتمتع الخطاب الديني الخالص باحترام وتقدير لدى المخالفين في العقيدة، وتحميه أيضًا المواثيق الدولية، مثل ميثاق حقوق الإنسان الصادر سنة 1948، والاتفاقيتين الدوليتين الصادرتين سنة 1966م، ومال العرف الدولي إلى التسامح في شأن الخطاب الديني، أو الدعوة الدينية التي توجه إلى غير المسلمين، ونجح هذا الخطاب في التعريف بالإسلام في بلاد عديدة في أوروبا وأمريكا.

كذلك لم يلتزم الخطاب الإسلامي لغير المسلمين التزامًا حقيقيًا وكاملاً بوسائل البلاغ التي وردت في القرآن الكريم، وهي الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، ومن هنا تظهر الحاجة إلى بيان الضوابط التي تؤدي إلى إصلاح الخطاب

الدعوي لغير المسلمين، لا سيما خارج البلاد الإسلامية; ذلك أن دعوة الإسلام في تاريخها الطويل تحرز أقصى نجاحها حين يكون خطابها دينيًا في المضمون، إسلاميًا في وسيلة الدعوة والبلاغ.

المنهاج الصحيح في دعوة غير المسلمين:

أولاً: الدعوة إلى التوحيد، وإلى أصول الشريعة:

ذكرنا أن الخطاب الدعوي لغير المسلمين، هو خطاب ديني في جوهره وأساسه، وأن ذلك الخطاب يتعلق بالعقيدة الإسلامية بكل مشتملاتها وعناصرها من الإيمان بالله وحده لا شريك له، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، فالله تعالى خلق الخلق، ليعبدوه، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات:56).. وأعظم ما أُمِر به الإنسان هو إفراد الله تعالى بالعبادة، وأشد ما نُهي عنه الشرك، وهو دعوة غير الله معه، سبحانه وتعالى عما يشركون، يقول الله تعالى:﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾(النساء:36).. فيجب على الإنسان أن يعرف ربه ودينه، ونبيه محمدًا ﷺ ويعرف الله تعالى بآياته ومخلوقاته، ويعرف دين الإسلام بالأدلة.. والإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد والطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

وأركان الإسلام التي أجمع المسلمون عليها أخذًا من حديث المصطفى ﷺ حين سأله جبريل عليه السلام هي: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج إلى بيت الله الحرام» [1].

وكل ركن من هذه الأركان تشهد به وله آيات في القرآن الكريم، يقول سبحانه

(1) أخرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وتعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾(آل عمران:18)، وقال الله تعالى:﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة:128)، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ (الأحزاب:40).. وفي إقامة الصلاة وإيتاء الزكـ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾ (البينة:5).. وفي فريضة الصيام يقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:183)، وفي فريضة الحج يقول تعالى:﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ ﴾ (آل عمران:97).

وهكذا بين الله في كتابه الكريم بهذه الآيات وأمثالها دعوة التوحيد، وبين الفرائض الدينية على المسلم في عباداته، وفصلت سنة النبي ﷺ أمر العبادات.. فالشهادة بوحدانية الله على إخلاص العمل لله وحده، وعلى تجنب الشرك بالله: الشرك الأكبر والأصغر، الظاهر والخفي.. والصلاة علمنا إياها الرسول ﷺ تعليمًا عمليًا، فقال: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»[1].. وأمرنا الرسول ﷺ أن نأخذ عنه مناسك الحج كما أداها أمام عشرات الألوف من المسلمين في حجة الوداع، قال ﷺ: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ**»[2].. وتعلمنا الصيام مما ورد من سنته قولاً وفعلاً في أحكام الصيام.. وبين الرسول لنا أنواع المال الذي تجب فيه الزكاة، ومقدار ما يستحق منها، ومن يستحق فيها.

وبهذا البيان في القرآن الكريم، والتفصيل في السنة المطهرة، تم البلاغ واكتمل الدين:

(1) أخرجه البخاري وغيره من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.
(2) أخرجه البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(المائدة:3).

فالدعوة إلى الله بين غير المسلمين تبدأ من قضية التوحيد وتنتهي إليها.. والتوحيد بداية كل عمل دعوي، واستفتاح لعلم كل مسلم.. ومن المؤسف أن يلحظ أن بعض الأفراد والجماعات العاملة في ساحة الدعوة الإسلامية تغفل هذا الجانب، أو لا لقى في سعيها وعملها الدعوي الاهتمام الذي يستحقه، مع أنه أول ما دعا إليه الرسل والأنبياء، وأول ما يقوم عليه بنيان المجتمع الإسلامي.. ويرجع سبب عدم نجاح كثير من جهود الدعاة بين غير المسلمين إلى أنهم لا يقدرون أولوية الدعوة إلى التوحيد:

فنجد جماعة تهتم بالسياسة أو الجهاد، وأخرى تهتم بالترغيب والترهيب، وثالثة تبدأ بالأخلاق، مع أن التوحيد والدعوة إليه هو مفتاح ذلك كله، وهو المنطلق المتين لوحدة المسلمين ولم شملهم.

ولا يعني البدء بالتوحيد إهمال غيره، أو حتى الانتقاص من أهميته، ولكنه يعني تقديم الأولى بالبلاغ لغير المسلمين، وهي أولوية يفرضها الشرع، ويؤيدها العقل.

فالمنهج الصحيح في دعوة غير المسلمين هو البدء بقضية التوحيد، وتجنب الشرك، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(الزمر:65).. وفي أهمية ذلك وقدره يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (المائدة:72).. والدعوة إلى التوحيد، ونبذ الشرك بكل صوره، هو ما دعا إليه النبي ﷺ أهل مكة ثلاث عشرة سنة.

والدعوة إلى التوحيد بين غير المسلمين، هي أهم وأعظم ما يوجه إليهم، لأن التوحيد هو دعوة كل الأنبياء، يقول تعالى:﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ﴾ (العنكبوت:16)، ويقول تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ

لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(البقرة:133)، وقال عيسى لقومه:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾(آل عمران:51).. وأرسل الله تعالى خاتم النبيين ليدعو جميع الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فقال الله تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ ﴾ (الأعراف:158).

فالتوحيد هو دعوة الأنبياء منذ بعث الله الرسل، وهو مفتاح الدين كله بما يتضمنه من الأخلاق والتشريع.. وقد كان الرسل يدعون مع التوحيد إلى مكارم الأخلاق، كالصدق، والعفاف، وصلة الرحم، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، والقسط في الموازين، وكل ما يكون من القيم الخلقية مصلحًا لأحوال المجتمعات، ومؤديًا إلى تزكية النفوس.. وسأل أعرابي الرسول ﷺ، بم أرسله الله ؟ قال صلوات الله عليه وسلامه: «**أرسلت بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحدوا الله، ولا يشركوا به شيئًا**»[1].. وقد أوجز الرسول ﷺ قيمة الأخلاق باعتبارها جانبًا من الدين في قوله: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ حسَنَ الأَخْلاقِ**»[2].. وفي قوله ﷺ -على وجازته- دليل على أن الرسالات الإلهية كلها تتضمن إلى جانب الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، الدعوة إلى مكارم الأخلاق.

إن دعوة الرسل والأنبياء جميعًا بدأت بالتوحيد، والدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والحرص على مكارم الأخلاق، وكان ذلك في كل الرسالات -كما أسلفنا- وهو الهدف الأساس من كل رسالة، وكل خير بعد ذلك على الفرد والمجتمع من توابع

(1) صحيح مسلم، ومسند الإمام أحمد بن حنبل.
(2) أخرجه مالك وأحمد.

التوحيد، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أول ما يؤمر به الخلق: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فبذلك يصير الكافر مسلمًا، والعدو وليًا، وفيه البداءة بالدعوة والتعليم بالأهم فالأهم».

فأول الضوابط في الدعوة إلى الله خارج ديار الإسلام، أن يكون البدء بالدعوة إلى التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، والإيمان بالله، وبملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وبهذا يكون الخطاب الدعوي دينيًا في الأساس.

ولا يلقى الخطاب الديني -إذا ما التزم الأسلوب القرآني في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن- لا يلقى معارضة كبيرة، فقد كفلت المواثيق الدولية في العصر الذي نعيش فيه، حقوق الاعتقاد والتدين، كما في الميثاق العالمي لحقوق الإنسان الصادر سنة 1948م، والاتفاقيتين الصادرتين عن الأمم المتحدة سنة 1966م الخاصتين بالحقوق المدنية والاقتصادية والسياسية للإنسان.

ولا يمكن أن تكون الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له خطرًا على أية دولة، يسوغ رفضها أصلاً، أو عدم السماح بها; إذ أن الاتفاقية الصادرة سنة 1966م التي عنيت بالحقوق المدنية لا تعترض على حق الاعتقاد والتدين إلا إذا كان يشكل خطرًا أمنيًا أو صحيًا، بينما تملك الدول جميعًا الاعتراض على الخطاب السياسي أو الاجتماعي وفق الضوابط التي تضعها كل دولة.. ويمكن لهذه الضوابط أن تجرم، وتعاقب على الخطاب السياسي، أو الاجتماعي العام، وفق مصالحها هي إذا ما تجاوز هذا الخطاب المصالح العامة، أو ألحق الضرر بنظامها السياسي، أو الاجتماعي، أو الاقتصادي، بينما يقبل الآن في المجتمع الدولي -وبدرجة كبيرة من التسامح- الخطاب الدعوي إذا كان دينيًا في جوهره وأساسه.

وينبغي أن يراعي الدعاة المسلمون في خطابهم عدم امتهان عقيدة غيرهم، حتى لا يؤدي الأمر إلى التخوف من العقيدة الإسلامية، ومحاولة التضييق على الدعوة إلى الله خارج ديار الإسلام، ففي القرآن الكريم بيان القاعدة الأصلية في ذلك، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ (الأنعام:108).. فالامتهان أو السب ليس خطابًا دينيًا، وليس من أساليب الدعوة إلى الله، فقد نهانا الله تعالى عن سب الأصنام والأوثان التي يعبدها المشركون، حتى لا يسبوا الله عدوًا بغير علم، ويغلق الطريق أمام الجدال بالتي أحسن، وهذا من أساليب الدعوة التي وردت في القرآن الكريم، ويكفي الداعية المسلم أن يعرض أصول العقيدة الإسلامية، وأركان الإسلام، وقيمه الخلقية، وأن يستند في ذلك إلى البراهين الحسية، وإلى الآيات الظاهرة للناس في خلق الله، وإلى ما ورد من نصوص في القرآن الكريم، والسنة المطهرة في شأن الإيمان بالله وعبادته وحده لا شريك له.

وفي هذا المجال يجد الداعية إلى الله كثيرًا من الآراء المنصفة التي صدرت من باحثين ومستشرقين –من غير المسلمين– ولا بأس من الاستشهاد بها في مواضعها تدليلاً على أن النظر العقلي حين يتجرد لاكتشاف الحقيقة، فإنه يصل إلى جوهر العقيدة الصحيحة التي يدعو إليها الإسلام، وهي التوحيد الخالص لله عز وجل.

إن البدء بالدعوة إلى التوحيد ليس أمرًا يمليه العقل فحسب، ولكنه كذلك سنة الأنبياء والرسل جميعًا، فلم يكن فيهم أحد بدأ بدعوة قومه إلى غير التوحيد من المذاهب الفكرية، أو الفلسفية.

ولما كانت رسالة الإسلام خاتمة الرسالات الإلهية للبشر، وقد تضمنت إلى جانب العقيدة شريعة كاملة يصلح بها نظام الاجتماع البشري في كل زمان ومكان، فإن الدعوة إلى التوحيد ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالدعوة إلى اتباع أحكام الشريعة منهجًا

للحياة الاجتماعية والفردية.. وهنا ينبغي للداعية المسلم أن يعرض أصول أحكام التشريع الإسلامي للاجتماع البشري الذي يقرر كرامة الإنسان، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾(الإسراء:70)، وأن يشير إلى مبدأ المساواة بين الناس، وهو مبدأ يهدم دعاوى التفرقة العنصرية أو اللونية، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (الحجرات:13)، ويزداد المبدأ وضوحًا في قول النبي ﷺ: «**لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى**»[1]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ , وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ**»[2].

وبيان هذه المبادئ بحسب نصوصها من القرآن الكريم والسنة المطهرة، يفتح العقول في مجتمع غير المسلمين، ويمهد لانفتاح القلوب على دعوة الإسلام.

ومن المبادئ العامة في الشريعة الإسلامية، التي تتصل بالنظام الاجتماعي الإسلامي مبدأ الشورى، كما ورد في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (الشورى:38)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ (آل عمران:159)، وكذلك مبدأ التكافل الاجتماعي بين القادرين في المجتمع وبين ضعفائه.

وهناك أمور عديدة تمثل أصول التشريع الإسلامي أصدق تمثيل، مثل صلة الأرحام، وحسن الجوار، ورعاية الأيتام في المجتمع، وغير ذلك من المبادئ الإسلامية العامة في شريعة الإسلام.. هذا إلى جانب اهتمام الدعاة المسلمين بعرض ما تنص عليه الشريعة الإسلامية من أحكام قطعية بشأن نظام الأسرة، وحقوق الزوجين والأبناء، وإقامة العدل في المعاملات بين الناس، وتحريم ما يؤدي إلى الربا، أو الغش، أو

(1) أخرجه الإمام أحمد عن أبي نضرة.
(2) أخرجه الترمذي وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الاحتكار، أو الإضرار بالمصالح الفردية أو العامة، وهذا ما يتفق العقلاء في كل مجتمع إنساني على ضرره، ووجوب تجنبه.. فينبغي للدعاة أن يعرضوه ضمن الأصول العامة في المجتمع الإسلامي.

ولا شك أن نجاح الداعية المسلم خارج ديار الإسلام يتوقف على كيفية عرضه للمبادئ والأصول التي جاءت في الإسلام لتقيم المجتمع على أسس ثابتة تحفظ للإنسان كرامته، وتضمن له مساواته مع الآخرين، وأمنه على النفس والعرض والمال، وعلى كافة حقوقه في التعامل مع غيره.. ومن الأفضل أن يبتعد الداعية المسلم عن تفصيلات الأحكام الشرعية الاجتهادية التي تقبل الاختلاف في المرحلة الأولى من نشاطه الدعوي; لأن الأحكام الاجتهادية، سواء في العبادات، أو في المعاملات تحتاج إلى ثبات عقيدة المتلقي، وإلى قدر من المعرفة بالفقه وأصوله، ولا يتيسر ذلك لدى الأغلبية من غير المسلمين، فضلاً عن أن إثارة الجدل في شأن المسائل الاجتهادية التي لا يحكمها نص قطعي الثبوت والدلالة من القرآن الكريم أو السنة المطهرة، يبدد جهد الدعاة المسلمين، ويؤثر على تكامل جهودهم، أو يوقع الفرقة بينهم في ديار غير المسلمين.

ثانيًا: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يهتم الدعاة المسلمون في خارج ديار الإسلام بمبدأ إسلامي أصيل، وهو وجوب قيام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع، ومن الواجب أن يقوم هذا الأصل في المجتمع الإسلامي بالذات، تحقيقًا لقول الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(آل عمران:104)، ولا شبهة في وجوب هذا الأصل في كل مجتمع إسلامي، والحكمة فيه أن يستمر إصلاح المجتمع، وأن تواجه المنكرات التي تظهر فيه عن طريق الدعوة إلى تركها كما تقضي الشريعة، وعن طريق ولاة الأمور بالعقاب عليها حتى يرتدع مرتكبوها، وبذلك

لا يستفحل الشر، ولا يشيع المنكر.. وهذا على وجه الإجمال يتعلق بالمجتمع الإسلامي، والأمر يختلف في غير ديار الإسلام، لأنهم لا يحتكمون إلى الشرع الإسلامي، وإنما يحتكمون إلى نظم وضعية يعتبرونها محققة لمصالحهم الفردية والاجتماعية، وقد تكون هذه النظم مما يحلل الحرام، أو يحرم الحلال، وقد تحمي هذا الأنظمة قيمًا وأخلاقًا تتعارض مع خلق الإسلام وقيمه.

ودون أن نفصل في شأن الموازنة بين الشرع الإسلامي والقيم الخلقية الإسلامية وبين هذه النظم الوضعية تسير عليها المجتمعات الأخرى، نستطيع أن نقرر أن أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير معروف في مجتمعات غير المسلمين، إذ العبرة في تحديد ما يجب على الشخص من تكاليف، وما يجب عليه الامتناع عنه، هي في القانون السائد دون غيره، ومن المسلَّم لدى علماء الأنظمة أن دائرة القانون لا تتسع مثل دائرة الأخلاق، وأن الهدف من القانون ليس الرقي بالإنسان أو تزكية النفوس، بل الهدف الرئيس هو حفظ السلام والأمن بين طوائف المجتمع وأفراده، فهدف القانون اجتماعي بحت، وليس أخلاقيًا أو دينيًا.

ويجب على الداعية المسلم في كل الأحوال أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، حتى في ديار غير المسلمين، وهذا الواجب قائم حتى ولو اختلف النظر إلى المعروف وإلى المنكر في المجتمع غير المسلم، فالداعي إلى الإسلام يلتزم معيارًا واضحًا أمامه -وهو معيار الشرع- ولا يجوز له أن يترك هذا المعيار لأي معيار أو مقياس آخر.

لكن قيام الدعاة المسلمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خارج ديار الإسلام يستلزم الحيطة والحذر، حتى لا يتسبب الدعاة في تعطيل نشر الدعوة في تلك المجتمعات.. وتقضي الحيطة بألا يلجأ الدعاة إلى إدانة المجتمع عامة وبطريقة مباشرة وشاملة، حتى لا تتحول الدعوة إلى خطاب اجتماعي عام، يتعارض مع ظروف هذا المجتمع وما يشيع فيه من منكرات تتصل بالأخلاق، أو تتصل بالمعاملات بين الناس..

ويستطيع الدعاة المسلمون أن ينشطوا في المجال الأخلاقي بالنهي عن منكرات الفواحش وشرب الخمور، وإشاعة الفاحشة بين الجمهور، وذلك ببيان ضرر هذه المنكرات الذي يتعدى الأفراد.. وعليهم أن يتوجهوا بذلك إلى الأفراد ما أمكنهم ذلك، وإلى بعض شرائح المجتمع التي ترى هذه المنكرات ضررًا اجتماعيًا أو صحيًا.

كما أن الدعاة المسلمين مطالبون بالتعاون مع الأفراد أو الهيئات التي تحرص على منع هذه المنكرات بالذات، ولو كانت غير إسلامية، فهناك العديد من الجمعيات التي تسعى وتدعو للقضاء على بعض المنكرات الشائعة في المجتمعات غير الإسلامية، مثل: الزنى، والشذوذ الجنسي، وشرب المسكرات، ونشر العري والفجور في أوساط العامة.. ومن المفيد أن يتعرف الدعاة المسلمون على مجهود تلك الهيئات والجمعيات -ولو لم تكن جمعيات دينية- حتى يؤدي الدعاة المسلمون واجبهم دون اعتراض عام أو حظر من السلطات، ولا سيما أن الدعاة يخاطبون في شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير المسلمين، إلى جانب المسلمين الذي يعيشون في البلاد غير الإسلامية، ولا يجوز لهم ترك هذا الواجب الدعوي المهم أو إهماله.

ويقف عمل الدعاة المسلمين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند حد النصح والإرشاد والموعظة الحسنة، دون التعرض إلى منع المنكر بالقوة.. وأبواب النصح والإرشاد واسعة بحكم وسائل الاتصال والإعلام المتاحة في تلك المجتمعات، المقروءة والمسموعة والمرئية، ولا يعد ذلك تقصيرًا من الدعاة في منع المنكر; لأنهم لا يملكون السلطة التي تمكنهم من مصادرة المنكر، أو منعه بالقوة، ولا تستجيب السلطات في ديار غير المسلمين إذا طلبوا ذلك; لأن النظم الوضعية هي المعيار الوحيد في التحليل والتحريم والإباحة.

وليس من مصلحة الدعوة أو الدعاة أن يتعرضوا لمنع المنكر بالقوة في المجتمعات غير الإسلامية، لأن المنع باستخدام القوة من شأن ولاة الأمور، حتى في المجتمع المسلم، حتى لا

يترتب على ذلك فساد أعظم من وجود المنكر.. ومع شيوع المنكر في المجتمعات غير الإسلامية، واعتراف السلطات به، وإقرار الناس له، يكون الأجدى والأنفع أن يجتهد الدعاة المسلمون في النصح والإرشاد والموعظة الحسنة، وبكل طرق الاتصال والإعلام التي تتاح أمامهم، وهي في هذا العصر لها أثر كبير في الدعوة والبلاغ.

ومن ناحية أخرى، فإنه ينبغي للداعية المسلم دراسة النظم والأعراف والعادات التي تشيع في المجتمع الذي يدعو فيه، فقد يكون من هذه النظم والأعراف ما لا يخالف أصلاً شرعيًا، أو نصًا قطعيًا في الشرع الإسلامي، مثل برامج الرعاية الاجتماعية، أو الصحية، أو الثقافية.. وفي خصوص هذه البرامج، فإن مشاركة الدعاة المسلمين فيها تتيح مناسبة للدعوة إلى الله، أو ترشيد ما في هذه البرامج وفقًا للأصول الشرعية، وذلك أجدى من مقاطعة هذه الأعمال أو إدانتها بصفة عامة وشاملة.

ولا جدال في أن الداعي المسلم في ديار غير المسلمين يُشترط فيه العلم بالشيء الذي يأمر به وينهى عنه، حتى يكون على بصيرة مما يدعو إليه، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ (يوسف:108).

وينبغي أن يكون حليمًا يروض نفسه على الصبر والحلم، وهذا ألزم في مجتمعات غير المسلمين; إذ قد ينال الداعي ما يكره من قول أو فعل حين يبذل نصحه، وقد أوصى الله تعالى نبيه بالصبر، فقال سبحانه وتعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾ (المدثر:1-7).

والداعية المسلم في بلاد غير المسلمين يملك تغيير المنكر باللسان والقلب، وفي الحديث الشريف: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ**

لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» [1].. والتغيير باليد هو المرتبة الأولى، ولكنه قد يؤدي -في مجتمع غير المسلمين- إلى منكر أشد منه، وقد يضر بالدعوة والدعاة، ولا ينبغي تغيير منكر إذا غلب على الظن أنه قد يؤدي إلى ما هو أشد نكرًا، مما يقتضي من الدعاة المسلمين علماً بأحوال تلك المجتمعات من نصح وإرشاد لأهلها في النهي عن المنكر حتى يتغير إلى ما هو أخف منه، أو إلى ما هو معروف في الشرع.

وعلى الداعي المسلم أن يدعو إلى المعروف وينهى عن المنكر، ولا عليه أن لا يستمع إليه غالبية الناس، أو أن لا يستجيبوا لدعوته.. ولا يلزم الداعي أن يغلب على ظنه الاستجابة، حتى لا يتعطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (القصص:56).

إن الدعوة إلى الله في بلاد غير المسلمين قد اتسع نطاقها في هذا العصر، تولى أمرها الحكومات والدول الإسلامية إلى جانب العديد من الهيئات والمؤسسات الإسلامية، فضلاً عن جهود علماء مسلمين، وقد أقرت المواثيق والأعراف الدولية بحق الاعتقاد والتدين، ويدخل في مضمون ذلك الدعوة إلى الدين الحق.. ولذلك فإن ما مر عن الخطاب الدعوي في مضمونه وضوابطه، قصد به أن يتعرف الدعاة المسلمون على أولويات الخطاب الدعوي في بلاد غير المسلمين، وأن تكون هناك ضوابط تعين الداعي على أداء رسالته الدعوية، وتبعث غير المسلمين على الاستماع والتلقي، حتى تكون الاستجابة بإذن الله.

وعلى الله قصد السبيل.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(1) أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.